مجلة المرأة المسلمة

العدد : ١٩٠ الموافق في محرم ١٤١٨ هجري ٦ / ١٩٩٧ ميلادي

عنوان المقال : في ركب عباد الرحمن – ٢ – في طريق الحياة ... هوناً	بقلم : يمان السباعي

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسير { **الذين يمشون على الأرض هوناً** }[الفرقان:] : « ها هي ذي السمة الأولى من سمات عباد الرحمن : أنهم يمشون على الأرض مشية سهلة ، هينة ، ليس فيها تكلف ولا تصنع ، وليس فيها خيلاء ، ولا تصعير خد ، ولا تخلّع ، ولا ترهّل ، فالمشية ككل حركة تعبير عن الشخصية ، وعما يَسْتَكِنّ فيها من مشاعر. والنفس المطمئنة الجادة السوية القاصدة ، تخلع صفاتها هذه على مشية صاحبها » [الظلال:ج٦ / ص١٨٢].

ويقول حسن حبنكة : « إن هذه المشية تنافي مشية الذين يسعون في الأرض فساداً ، أو طلباً للعلو فيها ، والاستئثار بحظوظها الفانية ، كما تنافي سعي الذين كل همهم في الحياة مطالب دنياهم » [صفات عباد الرحمن:ص٣٠].

إن طريق الحياة في ظل الإيمان ، وفي ركب عباد الرحمن وإمائه ، جدير بكل هذه الصفات العظيمة الهائلة ، وللمرأة المسلمة في هذا الباب دور خطير يتمثل في كونها قدوة لأبنائها ، منها يتعلمون كيف يسيرون في دروب الحياة ، لا تعلم التلقي والتلقين ، ولكنها محاكاة الحياة اليومية ، وملاصقة الأرواح بالأرواح ، فالأم المتفائلة ، أبناؤها متفائلون ، والأم المتكبرة أولادها متكبرون ، والأم التي ما تعلمت الصبر ، ولا تحلت بالأخلاق الرفيعة في طريق الحياة... تجد رعيتها نسخة منقحة عنها !!.

وأعظم ما في هذه الصفات من أذى للأبناء وفساد للمجتمع المسلم ، إنما هي صفة " الكبر " الذي طالما عانت منه مجتمعاتنا الإسلامية ، والذي لا يمكن أن يجتمع في نفس امرئ يريد السير على طريق الإيمان ، وهو في ذاته مرض نفسي ظاهر خفي ، وخلق ذميم ، ويكفيه ما بينه رسول الله ﷺ من أنه احتقار الخلق ، وغمط الحق... أي عدم الاعتراف به للآخرين... أو عن الآخرين.

ولعمري إنه تجمل بهذه الصفة ما ذكره الرسول العظيم ﷺ في عدة أحاديث من أنه يحول بين صاحبه وبين الجنة.

طريق الحياة في كوكبة عباد الرحمن حريٌ بأن يكون حركة دائبة للخلاص من هذه الصفات الذميمة التي لا تجعل مشينا فيه هوناً ، فالحياة زاخرة بدياجير المساوئ ، وأعاصير المبادئ ، ولا بد لمواجهة الأولى من حركة جادة في درب الآخرة ، بهمة عالية ، وصبر على جهاد النفس ، وجهاد الظروف المحيطة بالإنسان ، والصبر على المحن... واستقبالها بالإقرار بإرادة الله ، وبأنه لا حول ولا

قوة لنا إلا به.

وإن من أعظم مظاهر المشي هوناً في هذا الطريق أن يكون الإنسان منا من الصابرين على البأساء والضراء... الذين يلاقون قدر الله بقدر الله... فإذا مسه الخير... كان صابراً حامداً ، وإذا مسه الشر لم يهلع ولم يفزع إلا لكتاب الله وسنة نبيه.

وأما أعاصير المبادي وهي العقبة الثانية ، فقد أصبحت متمثلة في رياح الحضارات ، وقشور المدنيات... ولها صفير يصم الآذان.

ولعل المرأة المسلمة اليوم في موقع يحتاج الصبر فيه إلى رحمة الله وقد باتت المنازل مزودة بالأجهزة اللازمة لبث كل ما يمكن لهذه القوى المستكبرة في الأرض أن تبثه ، وليس من سبيل للخروج إلا بحركة إيمانية ، ودأب في المشي على الطريق الوعرة في هدوء وثبات... ولكن في يقين وعلى بصيرة ، فنسدد ونقارب ، ونمضي في درب الحياة هوناً... ندفع أذى الدنيا ، وما اشتملت عليه ، من بلاء داخلي من قبل أنفسنا ، وآخر خارجي من قبيل أعدائنا.

وهي مسيرة... القابض فيها على دينه ، كالقابض على جمرة من نار ، إنها مسيرة عباد وإماء الرحمن ، الذين يمشون على الأرض هوناً مستعينين بمشاعل النور الآمنة...

وعلى المرأة المسلمة بشكل خاص أن تدرك أن الطوفان قوي مزلزل... وأن الطريق صعبة ، وأن صمودها في هذه المعركة إنما فيه خلاصها... وخلاص أسرتها ، وإنقاذ أجيال المسلمين من الضياع والذوبان.

  